الأعمال الكاملة

لفضيلة الشيخ

عطية الله أبي عبد الرحمن

جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي

رحمه الله

جمعه ورتبه وحققه

أبو عبد الرحمن الشامي

غفر الله له

الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة

دار الكتاب العالمي

لتحميل الكتاب وتصفحه في الشبكة

صوِّر الباركود

https://mktabaj.net/atyah

لتحميل مجموع الأعمال وتصفحه من خلال برنامج "التور" حصرًا

صوِّر الباركود

http://256c73vcfvg3wysyvzauirdxlop7movh4jeq2kmlqgprywppkgaqbbqd.onion

الأعمال الكاملة

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطية الله الليبي

حمال إبراهيم اشتيوي المصراتي

كانت الطبعة الأولى في عام: ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م، وتأتي هذه

الطبعة الثانية -مزيدة ومنقحة بإضافات كثيرة -

١٤٤٦ هـ - ٢٠٢٤م

الموقع الإلكتروني الخاص بمجموع الأعمال الكاملة للشيخ عطية الله:

https://mktabaj.net/atyah

وعلى شبكة التور "المشفرة":

http://256c73vcfvg3wysyvzauirdxlop7movh4jeq2kmlqgprywppkgaqbbqd.onion/

حقوق الطبع محفوظة لكل مسلم؛ بشرط الدعاء:

للمؤلف الشيخ المجاهد: عطية اللّه الليبي رحمه الله وتقبله وأسكنه الفردوس وأخلف الأمة عنه خيرا

ولأبطال الأمة: المجاهدين الميامين نصرهم اللّه وسدّد رميهم وثبتهم ومكنهم، وأذل عدوهم

وللفقير لربه معدّ المشروع: الزبير الغزي هداه اللّه وعلّمه وغفر له وتقبل منه، وختم له بالخير والشهادة

وللمسلمين عامة، وأهل الشام وفلسطين خاصّة أزال اللّه أعداءهم، ومكن لشرعه حكما بينهم

الطبع والتجليد:

Step Ajans Matbaa Ltd. Şti

Göztepe Mah. Bosna Cad. No: 11 Bağcılar / İstanbul Tel: 0212 46808426

Sertifika No: 45522

الأعمال الكاملة

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطية الله الليبي

عنوان … **– العمرانية**

Yamanevler M… Dükkan: 1

bilgi@kureselkitap.com

www.kureselkitap.com

المكتبة الجهادية (١)

الأعمال الكاملة

للشيخ الإمام الشهيد المجاهد

عطية الله الليبي

جمال إبراهيم اشتيوي المصراتي

الذي استشهد -تقبله الله- بغارة أمريكية صليبية على منزله في خراسان في شهر رمضان ١٤٣٢هـ، أغسطس ٢٠١١م

تقديم:

الشيخ: أبي قتادة الفلسطيني — الشيخ: سيف العدل المصري

الشيخ: أبي عياض التونسي — الشيخ: أبي الحسن رشيد البليدي

الشيخ: أبي محمد الفقيه الليبي — الشيخ: د. هاني السباعي

الشيخ: عمر بن مسعود الحدوشي — الشيخ: د. سامي العريدي

الطبعة الثانية -مزيدة ومنقحة-

جمعه ورتبه وحققه وخرج أحاديثه:

أبو عبد الرحمن الشامي الزبير الغزي

-غفر الله له وختم له بالشهادة في سبيله على ثرى بيت المقدس-

دار الكتاب العالمي

لمشاهدة المحاضرة مرئيا
صوّر
الباركود
https://mktabaj.net/atyah?start=1839&end=1848

الهداية.. ونعمة الجهاد

[الحلقة السادسة من سلسلة «قناديل من نور» من نشر: مؤسسة السحاب، وقد تضمنت كلمتين للشيخين عطية الله ومصطفى أبي اليزيد، مدتهما: ٤٨ دقيقة -للشيخ عطية منها قرابة الثلث-، **ونُشِرت في**: شوال ١٤٤١هـ، ولا يُدرى تاريخ تسجيلها تحديدًا، وما بين [القوسين المعكوفين] عبارةٌ ضبطنا بها النص مطلعَ المحاضرة لِتَتَّسِقَ؛ حيث بدأت بانقطاعٍ في أولها]

بسم الله الرحمن الرحيم

[عتب الله على الكفار بما أكثروا] على الرسل في الاقتراح، والاقتراح معلوم معناه، وهو: التصور، وحاصله: طلب آيات ومعجزات يشترطون عدم الإيمان إلا برؤيتها ووجودها: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾ [الرعد: ٧]، والرسول ﷺ قد جاءهم بآيات كثيرة؛ منها: الآيات المحسوسة -وبعضها كان من اقتراحهم-؛ كانشقاق القمر مثلًا، وانشقاق القمر ثابت وصحيح، بل حديثه متواتر، وكان اقتراحًا من المشركين، حيثُ اقترحوا أن ينشق القمر: «اشقق لنا القمر فلقتين

فنراه نؤمن بك»، فانشق القمر[1]، قال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوۡاْ ءَايَةٗ يُعۡرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحۡرٞ مُّسۡتَمِرّٞ ۝٢﴾[القمر: ١-٢]، فكانوا كلما اقترحوا شيئًا واستجاب الله لهم، قالوا: هذا سحر! وعليه فلا فائدة من الآيات، لهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝١٠١﴾ [يونس: ١٠١]، وقال في الآية الأخرى: ﴿وَلَوۡ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَابٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعۡرُجُونَ ۝١٤﴾[الحجر: ١٤] أي كما طلبوا؛ ﴿لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتۡ أَبۡصَٰرُنَا﴾ [الحجر: ١٥]؛ أي حصل لنا سُكْر ﴿بَلۡ نَحۡنُ قَوۡمٞ مَّسۡحُورُونَ ۝١٥﴾[الحجر: ١٥].

ويغلبُ في القرآن أن الله ﷻ لا يجيبهم إلى تعنتهم وإلى اقتراحاتهم؛ بل يعود الأمر إليه ﷻ، ويأمر رسوله ﷺ أن يَرُدَّ الأمر إليه، ولأن يقول لهم: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولٞ﴾، وإنما أبلغكم ما أوحى الله إليّ، وأنه ليس بإمكاني أن آتيكم بآية إلا بإذن الله، وأن الله ﷻ بيده الأمر، وأن الله ﷻ هو الذي يرسل بالآيات، ونحو ذلك من المحاججة.

في هذه الآية الكريمة: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾[الرعد: ٢٧]؛ ويعني بـ﴿لَّوۡلَآ﴾: هلَّا، وهي هنا حرف تحضيض.. وهو الحاصل منه معنى الاقتراح.. ﴿لَّوۡلَآ﴾؛ أي هلَّا أنزل عليه آية من ربه؛ أي آية نخضع لها ونصدقك بها، ﴿لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓ﴾، فكان الجواب: قل يا محمد: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ۝٢٧﴾؛ والمعنى: قل لهم يا محمد وأجبهم، وهذه إحدى الإجابات عن اقتراحاتهم المتكررة، وكما ذكرنا أن الغالب في القرآن أن الله لا يجيبهم؛ بل يجيبهم بالطريقة التي ذكرناها، وهذه أيضًا من الإجابات: ﴿قُلۡ﴾ أي قل لهم يا محمد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، إن الله ﷻ يضل من يشاء؛ يعني يصرف من يشاء عن سبيل الحق، ويغيِّب من يشاء عن الهدى، وقل: إن الله يضل من يشاء من عباده من خلقه، ويهدي إليه من أناب.

ففي الضلال قال: يضل من يشاء، تحقيقًا لعدله ﷻ، فهو المتصرف في خلقه كما يريد ﷻ على مقتضى علمه وحكمته، وفي الهداية قال: ويهدي إليه من أناب؛ تنبيهًا على أن الهداية تنال بأسباب، وإن كان فيها أيضًا كما في الضلال أي أنها من الله ﷻ وهي فِعل الله ﷻ، لا يملكه إلا هو ﷻ، فهو الذي يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولكنه في جانب الهداية هنا قال: ﴿وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ ۝٢٧﴾، أي يهدي إليه الذي ينيب إليه، وأناب يعني: رجع إلى الله؛ فنبه على أن الهداية مستحقة لمن أناب،

---

(١) صحيح البخاري (٤٨٦٧) عن قتادة: عن أنس ﷺ قال: «سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر».

الذي يرجع إلى الله ﷻ، ويخضع ويذل ويخشى ويطلب الهداية من الله، ويبحث عنها ويريدها يطلبها، فهذا يهديه الله ﷻ.

فهم طلبوا آيات، فقال: قل لهم إن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ويهدي إليه من أناب، فحاصل المعنى: أن الآيات التي تقترحونها أيها المشركون ليست هي التي ستهديكم إنما الهداية هي ملك الله ﷻ، والله ﷻ هو الذي يعطيها من يشاء ويمنعها من يشاء، والله ﷻ أنزل من الآيات وبعث رسوله بآيات تكفي لمن أراد الهداية.

كما قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾[العنكبوت: ٥١]؛ فهذا الكتاب هو الذي أنزله الله ﷻ مع رسوله ﷺ وهو القرآن؛ يكفي لمن أراد الهداية، ومن لطف الله ﷻ وعظيم إحسانه وفضله أنه زادنا من الآيات، أما في وقت النبي ﷺ وحياته ووجوده فكان أهل التنزيل المشاهدون للتنزيل، يرون من الآيات الشيء العظيم الكثير، وما بعده ﷺ إلى آخر الدنيا؛ فإن الله ﷻ أيضًا خبأ لهم من الآيات المكنونة في كتابه مما يُعلم تأويله مع مرور الأزمان وتحقق تأويله في الواقع.

ومن آياته الكونية: الشيء الكثير الذي يمر به الإنسان في حياته؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾﴾[يوسف: ١٠٥]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ﴿٢٧﴾﴾[الرعد: ٢٧]، وكما قلنا أنَّ في شطر الآية الثاني تنبيها على بعض أسباب الهداية والله ﷻ جعل للهداية أسبابًا؛ دلت عليها آيات كثيرة في كتاب الله وأحاديث النبي ﷺ، ومن أهمها – وهو المدلول عليه في هذه الآية– من الرجوع إلى الله ﷻ: الإنابة إلى الله وطلب الهداية والبحث عنها، والخشية والخشوع والخضوع والقيام بالقسط والعدل والبعد عن الظلم، هذه كلها معاني للهداية، والهداية معناها الاهتداء إلى الخير وإلى الصواب وإلى الطريق الصحيح وإلى المقصود المطلوب للعبد وللإنسان.

والهداية مراتب وأنواع تبتدئ بمعرفة الصراط المستقيم، ثم التوفيق إلى سلوكه، ثم هداية الثبات عليه، ثم هداية تكميل مقاصده، ثم هداية الوصول إلى المطلوب الأعظم، وهو رضوان الله ﷻ ونيل كرامته وهي الجنة.

فالهداية هدايات؛ ولهذا عندما نقرأ في القرآن ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة] وهذا الدعاء الذي يجب على الإنسان أن يدعوَ الله ﷻ كل يوم مرات متعددة، ولهذا كان أعظم دعاء هو دعاء طلب الهداية: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾، وهذه الهداية هداية شاملة لكل معاني الهداية، وعلينا عندما

نقرأ هذه الآية الكريمة من سورة «الفاتحة» أن نستحضر أنها تحتوي وتشمل جميع معاني الهداية ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾؛ أن ننتهي بالهداية إلى الجنة ورضوان الله ﷻ ونعيمه.

ومن معاني الهداية كما ذكرنا: هداية الثبات على طريق الحق، وهذه أيضًا لها أسباب تفصيلية، فمن أسبابها: الشعور والاعتراف بأن الهداية هي نعمة عظيمة من الله ﷻ، ونحن قد هدانا الله ﷻ إلى طريق الهجرة والجهاد في سبيله؛ فيجب علينا أن نستشعر دائمًا ونستحضر أن هذه الهداية هي منَّة ومحض فضل من الله ﷻ؛ هذا الاعتراف الباطني القلبي هو أول مراتب الشكر، قد قال الله ﷻ: ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾[إبراهيم: ٧]، الذي يشكر الله ﷻ على نعمة الهداية يزيده الله من الهداية ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ۝١٧﴾[محمد: ١٧]، يزيدك الله من الهدية ويزيدك من غيرها ما شاء ﷻ.

فالنعمة إذا شُكرت تتبعها النعمة، ويتمها الله ﷻ على عبده: ﴿وَيُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعۡقُوبَ﴾ [يوسف: ٦]، ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي﴾ [المائدة: ٣]؛ فالله ﷻ يتم النعمة ويكملها على العبد، ومن أهم أسباب ذلك: شكر هذه النعمة والذي لا يشكر الله ﷻ إيش [يسوي فيه]؟ يتركه ويتخلى عنه: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧﴾[إبراهيم: ٧]، أي أنتم متعرضون للوعيد، وهذا معنى التعقيب بـ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧﴾؛ لأنه تخويف وتهديد، وفيه إيماء إلى أنكم قد تتعرضون إلى عذاب الله ﷻ: ﴿وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ۝٧﴾؛ أي إذا كفرتم النعمة يعني لم تشكروها، فإن عذابي لشديد.. ويكفي من نعمة الله ﷻ أن منَّ علينا أيها الإخوة الأحباب أن جعلنا في ديوان المهاجرين وديوان المجاهدين، ومن تمام النعمة على العبد منا أن يوفق الله ﷻ الإنسان للشهادة، وأن يختاره للشهادة التي هي من أعظم المنازل التي يمكن أن يحصلها المؤمن في هذه الحياة.. وهي الدرجة الملحقة بدرجة النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وأما درجة النبيين فقد انتهت، وأما الصديقون فهذا لعله نادر قليل، وأما الصلاح المهيأ لدرجة الصالحين فأيضًا مستحقاته ليست بالسهلة؛ فما بقي من الأبواب الكبيرة العظيمة التي هي مِنَّة من الله ومنحة إلهية سابغة مِن الله على عباده المؤمنين إلا باب الشهادة.

باب الشهادة باب عظيم يُلحق الله ﷻ به المقصرين بالسابقين المفردين، وهو على بساطته فيه معانٍ كبيرة عظيمة جدًا؛ هيَّتْه لهذا المقام لأن يكون مع النبيين والصديقين والصالحين، فالرجل الذي آمن

قبل قليل ولم يصلِ لله ركعة ودخل للقتال وقاتل فقُتل، قال النبي ﷺ: (**عمل قليلًا وأُجر كثيرًا**)[1]، نال الشهادة فكان مع النبيين والصديقين والصالحين، وهذا لم يعمل شيئًا في الإسلام؛ إلا أنه أسلم وقال الشهادتين ودخل إلى ميدان القتال، فقاتل فقُتل؛ فنال أجر الشهادة، وكان في هذه الدرجة -على تفاوت أصحابها طبعًا-، ولكنَّ هذا المقام عظيم، ومنزلته رفيعة، فحصَّلها بعمل قليل؟ لكن هذا العمل القليل في الصورة، والذي قد تستسهله الناس حسب الإلف والعادة هو عمل عظيم؛ لأنه بذل مهجته، وبذل وجوده، وبذل كينونته لله ﷻ، وأراق دمه في سبيل الله، من هنا كانت الشهادة شهادة؛ لأنه بهذا المعنى شهد بأن هذا الدين هو الحق الذي يستحق أن تُراق فيه الدماء، ويستحق أن تبذل فيه الأنفس، ويستحق أن يُضحي بوجوده وكينونته في سبيله..

هذه الشهادة شيء صغير: موت، هذا هو الظاهر يعني؛ كما يموت كل الناس، ولكن ما تحتويه من معاني، كرمها الله ﷻ ورفع قدرها وجعلها في الباب الثالث من الذين أنعم الله عليهم بعد النبيين والصديقين؛ فهذه أعظم الكرامة، ولكن قبلها حتى الذي لم ينل الشهادة وانضم إلى ديوان المجاهدين في سبيل الله فله مناقب عظيمة؛ من بينها مثلًا: (**إن للمجاهدين في سبيل الله مئة درجة ما بين الدرجة والدرجة كما بين السماء والأرض**)[2]، والآيات والأحاديث الواردة في فضل المجاهد كثيرة ومعروفة؛ فلا تنحصر فضائله، وأكمل الفضائل بعد ذلك: الشهادة؛ فيكفي أن الله ﷻ ينعم على الإنسان بأن يجعله مكتوبًا في ديوان المهاجرين في سبيل الله، والهجرة أيضًا فضائلها عظيمة ومناقب أصحابها جمَّة، ثم يجعله في ديوان المجاهدين في سبيل الله؛ فإذا أكمل الله عليه النعمة بالشهادة في سبيله فهو المنتهى والغاية، وإلا فهو في هذا الجهاد في خير عظيم جدًا.

وهذا الجهاد نفسه من أسباب التثبيت على طريق الحق؛ فكون المرء مجاهدًا وبقاؤه في طريق الجهاد من أسباب ثباته على الحق، وعلى صراط الله المستقيم لا يزلُّ: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥﴾[محمد: ٤-٥]، هذه قراءة حفص وبعض القراء: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ وقرأ نافع لراوييه ورش وقانون: ﴿وَٱلَّذِينَ قَتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ۝٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ۝٦﴾[محمد: ٤-٦]، وكما يقول العلماء: القراءة مع القراءة كالآية مع الآية؛ أي كأنها آيةٌ أخرى، فتعتبرها آية أخرى، وأجرِهَا في الاستدلال إجراء الآية،

---

(١) صحيح البخاري (٢٦٥٣).

(٢) صحيح البخاري (٢٧٨٥)، صحيح مسلم (١٨٧٨).

فهكذا قراءة ورواية ﴿وَٱلَّذِينَ قَتَلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾؛ ففيها وعد للذين يقاتلون في سبيل الله ويهاجرون في سبيل الله، أن الله ﷻ يهديهم وأنه يصلح بالهم وأنه يدخلهم الجنة؛ ففيها معنى زائد عن قراءة ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فقراءة حفص تعني: الشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، فلن يضل الله أعمالهم بل يشكرها لهم، ﴿سَيَهْدِيهِمْ﴾، والهداية هنا مصروفة إلى الجنة كما قال تعالى: ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾[الحج: ٢٤] ونحوها من آيات، وعرّفها لهم؛ أي عرَّفهم منازلهم في الجنة.

فمن أسباب هذا الثبات على صراط الله المستقيم: هذا الجهاد والقتال في سبيل الله، فالذي يجاهد في سبيل الله ويثبت على هذا الجهاد ويقاتل في سبيل الله موعود بالهداية، فإنَّ هذا القتال وهذا الجهاد وسيلة من أعظم الوسائل للثبات على الدين ولإحقاق الحق وإقامة الحق، ونصر الدين، وإقامة التوحيد، وإقامة العدل؛ فالجهاد طريق الثبات على هذا الدين وهذا الصراط المستقيم..

فنحن نقاتل من أجل نصرة دين الله ﷻ وإعلاء كلمة الله، ونقاتل أيضًا لكي نثبت على الصراط المستقيم، كما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾[محمد: ٧]، أي: إن تنصروا الله بنصر دينه ينصركم، والنصرة هنا بكل معانيها، وليس فقط النصرة على الأعداء فقط، لكن أولها النصرة على هذه النفس الأمارة بالسوء، والانتصار في معركتنا مع الشيطان ومع الهوى، ومع هذه الدنيا، ومع نزعات النفس المائلة إلى الإخلاد إلى الأرض وإلى الشهوة وإلى النفس الأمارة بالسوء؛ فالنصر بكل معانيه.

وقوله: ﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ فكلمة ﴿ٱلَّذِينَ﴾ اسم منصوب بالجمع، وجرى على ﴿مِنَ﴾؛ لأن ﴿مِنَ﴾ السابقة المنصوبة تصلح للمفرد وللجمع، وتصلح للجميع؛ فهي اسم مشترك من الأسماء الموصولة المشتركة.

﴿وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۝٢٧ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[الرعد: ٢٧-٢٨]، هؤلاء هم الذين يهديهم الله ﷻ.. كيف يهديهم وهم مؤمنون؟ نرجع هنا إلى معاني الهداية المتعددة ومراتبها التي أشرنا إليها.

كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ۝١٣﴾[غافر: ١٣]، ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾[الأعلى: ١٠]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى﴾[محمد: ١٧]، وفي المقابل بدلالة الضد ونفي الضد وغير ذلك؛ قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ۝٣٤﴾[غافر: ٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾[الزمر: ٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠﴾[المائدة: ٥١]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ۝٦﴾[المنافقون: ٦]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٢٦٤﴾[البقرة: ٢٦٤]، هذا في القرآن كثير، ونحن تمر علينا

هذه الآيات، ولكن قد لا نتأمل فيها، ولكن فيها معاني كبيرة جدًا، وعظيمة، ومعاني أصلية من معاني الإيمان والهداية، وهي مبثوثة وكثيرة جدا في القرآن، فأنت لا تكاد تقرأ وردك اليومي من القرآن: صفحتين.. ثلاث.. خمس، إلا وتمر بهذه المعاني؛ فعلينا أن نتأملها ونتدبر فيها.

فالله ﷻ يهدي هؤلاء، الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله؛ فإذا ذكر الله ﷻ اطمأنت قلوبهم، والاطمئنان: سكينة حاصلة بسبب معين، والسبب هنا هو ذكر الله ﷻ.. والنفس التي تأنس إلى الله، وإذا ذكر الله اطمأنت وسكنت وحصل عندها استعداد وتهيؤ لاستقبال ما يلقى إليها من قبل الله ﷻ؛ هذه نفس مستحقة للهداية، فالذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله؛ هؤلاء هم المنيبون إلى الله.

ثم قال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾[الرعد: ٢٨]، وهذا كتأسيس للكلام السابق، فقوله: ﴿إِلَّا﴾ تنبيه، والقلوب إنما تطمئن بذكر الله، لأن هذه القلوب هي سر من أسرار الله ﷻ، وهذه القلوب هي ملوك الأجساد، بل والأرواح، وتستقر فيها معاني العقل، ومعاني الهداية، ومعاني الإيمان، وأضدادها أيضًا؛ فهذه القلوب خلقها الله ﷻ لتطمئن بذكره، وتطمئن باللجوء إليه ﷻ، وتأنس للكون مع الله ﷻ، وتطمئن عندما يُذكر ربها وخالقها ﷻ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾.

وفي الآية نوع من الحصر؛ يعني حصر بتقديم الجار والمجرور، فبذكر فقط الله تطمئن القلوب؛ هذا هو أصل الجملة، لكنه حصر فقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾، وكأنها لا تطمئن إلا بذكر الله ﷻ؛ ففيه تنبيه على ذكر الله، فالنفس تطمئن إذا ذكر الله وتطمئن إذا هي ذكرت الله ﷻ، وفي هذا تنبيه على ذكر الله ﷻ وأنه سبب من أسباب الهداية ويفسر الإنابة؛ لأن الذي ينيب إلى الله ﷻ يذكر الله، لأنه ما أناب إلى الله إلا وقد ذكر الله ﷻ بقلبه؛ فإذا زاد على ذلك وذكره بلسانه وكان لسانه رطبًا بذكر الله ﷻ فقد حصل له كمال الذكر.

أيها الإخوة: نحن في جهادنا هذا في نعمة عظيمة، لكن أيضًا في المقابل علينا أن نحذر من مفسدات هذه النعمة ومبطلات هذا الجهاد وهذا العمل الصالح، فإن لكل عمل نواقض ومبطلات على الإنسان أن يعرفها ليجتنبها، والنبي ﷺ بيّن لنا هذا في أحاديث كثيرة جدًا، على سبيل المثال حديث: **(الغزو غزوان؛ فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، وأجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجرٌ كله، وأما من غرا فخرًا، ورياءً، وسمعةً، وعصى الإمام، وأفسد في الأرض، فإنه لن يرجع بالكفاف)**، وهو حديث صحيح في السنن[1]، وقسَّم فيه النبي ﷺ غزو الغازين

(١) سنن النسائي (٣١٨٨، ٤١٩٥) سنن أبي داود (٢٥١٥)، وحسنه الألباني، مسند أحمد (٢٢٠٤٢) وضعفه الأرنؤوط.

إلى قسمين ونوعين فقال: (**الغزو غزوان**)، يعني نوعان وقسمان، هذا قسم وهذا قسم، ثم فصل وفرع فقال: (**فمن غزا ابتغاء وجه الله**)؛ الإخلاص، (**وأطاع الإمام**)، أي الأمير والمسؤول عليه في الجهاد، (**وأنفق الكريمة**)؛ يعني الأموال الكريمة التي تكرم عند أهلها وأصحابها، والأموال النفيسة، وكل الأموال كريمة على الإنسان وعزيزة على نفسه، (**وياسر الشريك**)؛ أي عامله باليسر، والشريك هو الزميل في الجهاد، أي المجاهد معه، فيعامله باليسر، والمياسرة: مفاعلة من اليسر، ياسره؛ أي عامله باليسر، وفيه تنبيه على إيش؟ على حسن الخلق وحسن الأدب وحسن المعاملة مع المؤمنين خاصة في هذا الطريق، في طريق الجهاد، وهذا باب مهم أيضًا وموضوع مهم جدًا، والتفصيل فيه كذلك مهم. ولعلكم تلاحظون في الكثير من العبادات أنَّ هذا الأصل مستصحب ويبرز في بعض العبادات أكثر من غيره، حتى في الصلاة، ففيها يُنبه النبي ﷺ على حسن معاملة الشريك في الصلاة كما قال: (**لينوا بأيدي إخوانكم**)[1]، وهذا حديث صحيح وقال: (**خيركم ألينكم مناكب في الصلاة**)[2] وهكذا.. وكذلك أيضًا في الجهاد؛ نحن منبهون ومأمورون بأن ييسر بعضنا البعض، وأول درجات هذه المياسرة: الكف عن الأذى، كما قال النبي ﷺ (**من آذى مؤمنًا فلا جهاد له**)، هذا الحديث صحيح في السنن لعله عند ابن ماجة، والشيخ الألباني صححه في السلسلة الصحيحة: (**من قطع شجرًا أو ضيق طريقًا**) وفي لفظ آخر: (**أو آذى مؤمنًا فلا جهاد له**)[3] فنفى عنه الجهاد، وهو مجاهد، وهذا الحديث قاله النبي ﷺ بينما كانوا مع النبي ﷺ في جهاد وغزو؛ فبعض الناس ضيقوا الطريق وقطعوا الشجر، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال ﷺ: (**من قطع شجرًا أو ضيق طريقًا فلا جهاد له**)، وفي لفظ زيادة: (**أو آذى مؤمنًا، فلا جهاد له**)، فلا جهاد له، هو مجاهد؛ فنفي الجهاد هنا راجع إلى نفي فائدة الجهاد أو حقيقة الجهاد، وأنَّ الجهاد الذي يجاهده الآن: عبث، وصور ظاهرة، ولكن لا جهاد له، وما في فائدة من جهاده؛ فلا جهاد له.

فأول مراتب المياسرة: عدم الإيذاء أو كف الأذى.

ثم بعد ذلك تأتي بعدها مرحلتان: مرحلة العدل ومرحلة الإحسان، وهذا في كل معاشرة؛ فالمعاشرة ثلاث درجات: أولها كف الأذى، فتبدأ من كف الأذى، فتكف شرك، ثم تَعدل، ثم تُحسن.

---

(١) سنن أبي داود (٦٦٦) وصححه الألباني.

(٢) صحيح ابن حبان (١٧٥٦) وصححه الألباني.

(٣) هذا اللفظ (آذى مؤمنا) وجدته في: تاريخ ابن عساكر (١٢٤٠٠) وقد صححه الألباني في: صحيح الجامع الصغير (٦٣٧٨).

ونكمل الحديث: (**واجتنب الفساد في الأرض**)؛ ومعنى اجتناب الفساد في الأرض كبير أيضًا؛ فعليك أيها المجاهد أن تجتنب كل ما هو فساد، والمؤمن أصلًا مأمور باجتناب الفساد ومأمور بأن يعمل الصالحات والخير: ﴿وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ٧٧﴾[الحج: ٧٧]، ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾[البقرة: ١٩٥]، فمأمور بالإحسان وفعل الخير واجتناب الفساد، وهذا هو الدين في الجهاد، وبالنسبة للمجاهد يتأكد هذا وتعظم مطلوبيته، ويصير متأكدًا وأوجب في حقه وأوثق عليه أن يجتنب الفساد.. لماذا؟ الله أعلم طبعًا، لكن لعلنا نستظهر شيئًا، وهو أنَّ المجاهد إذا أفسد فهي مصيبة؛ فهذا يختلف عن رجل جالس في بيته وفي أرضه ويحصل منه الفساد.. ففساد هذا متصور، وأما المجاهد فلأنه جاهد فينظر الناس إليه على أنه داعية لله؛ يعني لماذا يجاهد؟ يجاهد في سبيل الله، فكيف تجاهد في سبيل الله وتفسد؟ يعني أنت ناقضت أصل الجهاد وأصل أهداف الجهاد وغايات الجهاد ومشروعية الجهاد ومقاصد الجهاد.. وأيضًا لأن المجاهد عندما يملك السلاح ويملك القوة، ويملك الغلبة على الناس؛ يتهيأ ويكون عنده استعداد طبيعي أن يفرض الأحكام على الناس؛ فإذا أفسد فإنه يفرض الفساد، وأيضًا يكون عنده ميل إلى التسلط، والغلبة، وهذا طبع في النفس أنها تنزع إلى الغلبة في الجهاد، ولهذا فالمجاهد إذا لم يكن عنده من القوة الإيمانية والتربوية والعلمية والفقهية ما يحجزه ويضبطه؛ فيتحول إلى مجرم، ولا يأمل الإنسان أن يتحول في يوم من الأيام إلى مجرم، يعني ناس جاهدت سنين، وسنين.. وسنين، وبعدها تتحول إلى طواغيت! موجود هذا، جاهدت بمعنى قاتلت -والله أعلم بمن يجاهد في سبيله-، لكن على الظاهر نحن نقول: جاهدت!

ناس كانوا زعماء جهاد «تشوفوهم اليوم مع الأمريكان»، صح أو لا؟! وناس جاهدت وحررت، وقامت تجارب جهادية ضخمة وعالمية وكان لها تاريخ مفصلي في تاريخ الأمة، ثمَّ بعد ذلك انتكست وارتدت وانقلبت وحاربت المجاهدين والإسلام؛ فالإنسان لا يأمن على نفسه، نسأل الله السلامة والعافية لنا ولكل المجاهدين.

فالمجاهد بحكم ما يحصل له في الجهاد من القوة والغلبة والظهور والنصر على الأعداء وما إلى ذلك؛ يكون أقرب إلى أن يقع مثلًا في فتنة الإفساد، أو فتنة الظلم وفتنة البغي والعدوان، ولهذا قال: (**واجتنب الفساد في الأرض**)، ثم عقَّبَ النبي ﷺ بأنَّ الذي فعل الأشياء السابقة كلها في الوصف له اجر وهو أنَّ: (**نومه وصحوه أجر كله**) فحتى وهو نائم يكون مأجورًا.

والنوع الثاني: (**ومن غزا فخرًا**)؛ افتخارًا، يعني طالبًا الفخر (**ورياءً**)؛ مرائيًا بحاله، (**وسمعة**) السمعة والرياء معنى واحد؛ أحدهما راجع إلى الرؤية والثاني راجع إلى السماع، (**وعصى الإمام**) خلاف

الأول الذي أطاع الإمام، وبخلاف الأول الذي غزى ابتغاء وجه الله، وأخلص لله ﷻ، وهذا إيش؟ عصى الإمام، **(وأفسد في الأرض)** بخلاف الأول الذي اجتنب الفساد في الأرض؛ بمعنى باعده.. فهذا الذي فعل هذه الأشياء ما عاقبته: **(فإنه لن يرجع بالكفاف)**؛ يعني حتى برأس ماله لن يرجع، فيا ليته يرجع برأس ماله، بل فإنه لن يرجع بالكفاف، والكفاف: حالة الاستواء لا لك ولا عليك.. وهذا تهديد ووعيد بأن الله ﷻ سيسلط عليه الخسران، فيخسر حتى الكفاف ولا يرجع حتى برأس ماله؛ فهذا مِن بين المعاني التي بينها لنا النبي ﷺ لنعرف أن طريق الجهاد لا بد فيه من الإخلاص، وهذه الأشياء التي ذكرها النبي ﷺ في هذا الحديث لكي يكون جهادنا جهادًا شرعيًا، ويكون جهادًا في سبيل الله، ولكي يكون مقبولًا عند الله، ولكي يكون سبيلًا وطريقًا لتثبيتنا على صراط الله المستقيم، وننال مقاصد الجهاد العظمى وهي رضوان الله ﷻ.

فنسأل الله ﷻ أن يجعلنا وإياكم جميعًا من المجاهدين في سبيله النائلين رضوانه ﷻ وكرامته الجنة ونعيمها.

اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا ومتعنا اللهم بأسماعنا وأبصارنا وقواتنا ما أبقيتنا واجعله الوارث فينا، واجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من لا يخافك ولا يرحمنا.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا، وظاهرًا وباطنًا..

وصل اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. اللهم آمين.